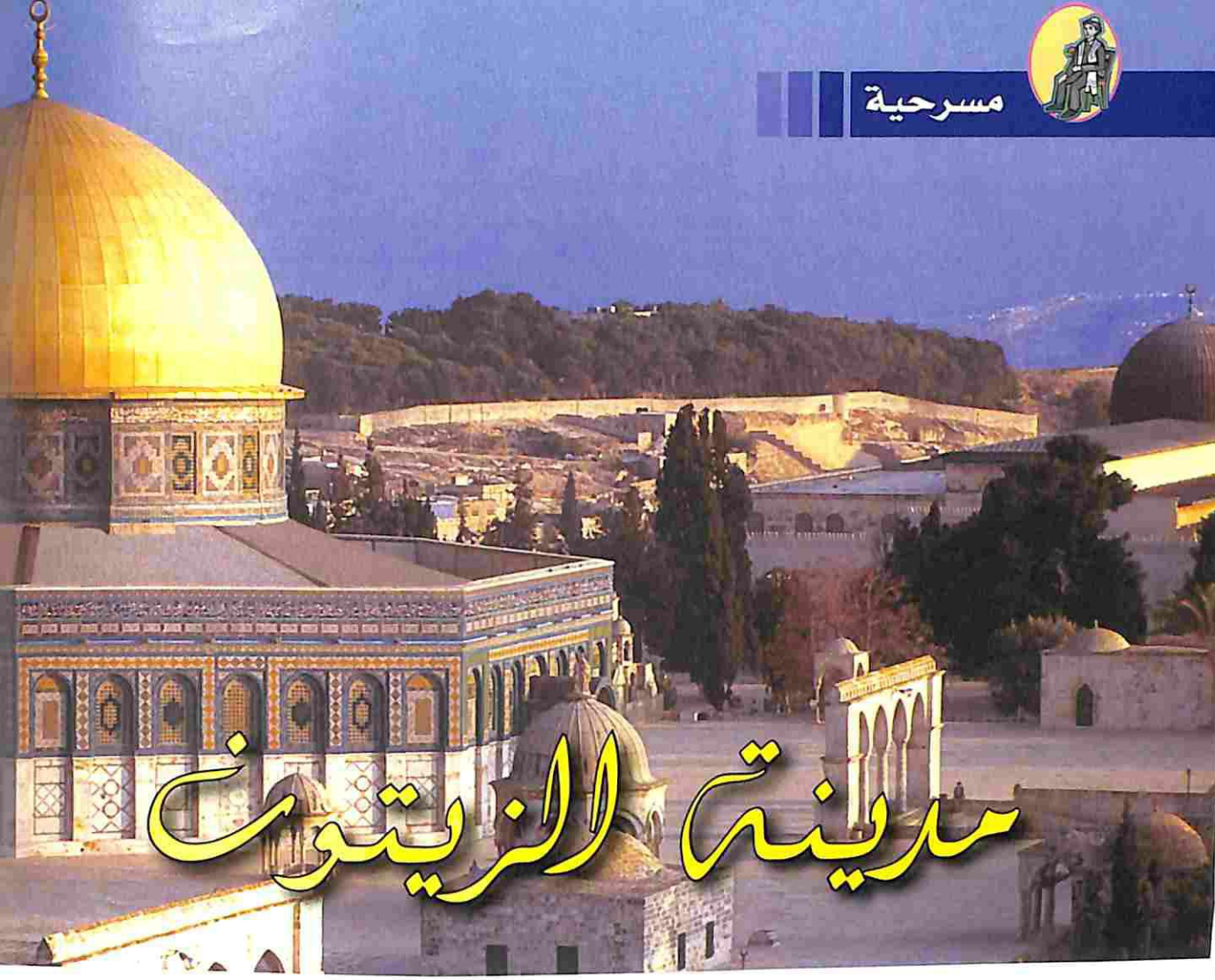

مدينة الزيتون

عزة منير

المشهد الأول

«طريق خالية يبدو فيها الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- وغلامه، ومعهما دابة واحدة يركبها الغلام بينما يسير عمر».

الغلام: يا أمير المؤمنين: ألا نزلت لك عن الدابة لتركب؟ فما زالت الطريق طويلة إلى القدس.

عمر: أيها الغلام الطيب: أما انتهينا من هذا الأمر؟!! ألم نتفق من بداية الرحلة أن يركب كل منا بمقدار ما يتلو سورة يس؟!

الغلام: بلى. ولكني أتألم إذ أركب أنا، بينما تسير أنت، وأنت أمير المؤمنين.

عمر: لا فرق بين أمير وغلام أمام الله، يا فتى انتهينا من هذا. فامض على بركة الله.

«بعد فترة»

الغلام: (مرتلا) ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ● إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ● فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس ٨١-٨٣). صدق الله العظيم.

(ينزل الغلام عن الدابة)، دورك يا أمير المؤمنين لتركب الدابة.

عمر: أرى أن نستريح هنا بعض الشيء وتريح الدابة.

الغلام: أمرك يا أمير المؤمنين، ألا أعد لك شيئا لتتناوله؟

عمر: أشكرك يا بني، بل دعني أخلد إلى النوم بعض الوقت.

(ينام عمر بينما يتطلع إليه الغلام).

الغلام: **(متأملا عمر)** لله درك يا أبا حفص. ما أحلمك وما أشد

تواضعك!! من ذا يصدق أن هذا النائم الواضع جنبه على التراب هو أمير المؤمنين الذي يملك خزائن الأرض.

المشهد الثاني

«المشهد يمثل رؤيا لعمر يبدو من خلالها صحراء قاحلة ملأى بالدخان والدمار بينما يطل عليها عمر من فوق ربوة خضراء يشرف من خلالها على الصحراء».

عمر: متعجبا «يا الله!!! ما هذا الخراب؟! وما هذا الدمار؟ **«من بعيد»**

صوت: أدركنا ياعمر.. أين أنت يا عمر، أدركنا يا عمر، أدركنا يا صلاح الدين. **(يظهر صلاح الدين ويتقدم من عمر).**

صلاح الدين: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

عمر: **(مندهشا)** وعليك السلام، من أنت؟

صلاح الدين: أنا الآتي من رحم الغيب لأحرر أرض الأنبياء.

عمر: تحرر أرض الأنبياء ؟! أو لم نحررها؟

صلاح الدين: بلى، ولكنها ستحرر وتحرر وتحرر.. انظر هناك.

عمر: **(يتطلع إلى الخراب والدمار ويسمع أصوات استغاثة)** **(يسمع صوت استغاثة يقترب فيبدو أن القادم امرأة).**

المرأة: (تجري في حالة ذهول) النجدة، أين أنت يا عمر؟

عمر وصلاح الدين: (يستوقفان المرأة) ما بك يا أمة الله؟

المرأة: (لاهثة) قتلوا الصغار، هدموا الديار، بقروا البطون، وأسقطوا كل الحصون، في كل يوم لنا ألف شهيد، بل إنهم يخططون لهدم أقصانا الحبيب.

عمر: أين الرجال؟ أين الجنود؟

المرأة: تفرقت بهم السبل، وانقطعت بهم الطرق.

صوت آخر: الأمان يا عمر.. العهد يا صلاح الدين.

عمر وصلاح الدين: **(يستوقفان الرجل المذهول)** ما بك أيها الراهب؟

الراهب: مهد المسيح.. أدركوا مهد المسيح، إنهم يحطمون مهد المسيح.

عمر: من هم؟ **(بحدة)** رجالي؟!

صلاح الدين: أهم جنودي؟

الراهب: **(بقوة)** لا. ما هم منكم ولا أنتم منهم.

صلاح الدين: فمن جرؤ على هذا وقد أعطاكم عمر أمانا، ومن بعده أعطيتكم عهدا.

الراهب: الأوغاد.. أبناء الأفاعي، يهدمون قبر المسيح!!

عمر: من هم ؟ من هم ؟

الراهب: الذين لعنوا على لسان أنبيائهم.

(يستيقظ عمر من نومه ويعود المشهد لنفس المنظر الأول).

عمر: **(مطرقا)** اللهم خير لنا، وشر لأعدائنا، رباه! ما رأيت؟ إلهي.. كيف أحمي مسجدك الأقصى إلى يوم القيامة؟

الغلام: ما بك يا أمير المؤمنين؟ أرأيت في نومك ما تكره؟

عمر: خيرا إن شاء الله.. آتني بعض الماء لأتوضأ ونكمل رحلتنا على بركة الله.

بعد فترة (يركب عمر الدابة بينما يسير الغلام لاستكمال الرحلة).

المشهد الثالث

«في المشهد يبدو عمر راكبا الدابة يرتل سورة يس، وينتهي منها فينزل عن الدابة ليستريحا بعض الشيء»

الغلام: هل آتيك بطعام يا أمير المؤمنين.

عمر: لا بأس أيها الغلام الطيب.

الغلام: **(أثناء إعداده الطعام)** أما كان يجدر ببطريق بيت المقدس أن يسلم المفاتيح لقائد جيشك وألا يكبدك هذه الرحلة الشاقة؟

عمر: هذا حقه يا غلام.. إنه يريد عهدا وأمانا من أمير المسلمين.

الغلام: كان بإمكانك أن تمنحه الأمان وتعطيه العهد وأنت في دارك بالمدينة وما كنت لتنقضه.

عمر: لعله أراد أن يطمئن بوضع يده في يدي لحاجة في نفسه.

(يطرق عمر ويستغرق في تفكير عميق)

الغلام: فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟

عمر: أفكر في الأمان الذي سوف أمنحه لأهل بيت المقدس وما حولها من المدن، أفكر في عهد يحمي بيت المقدس، يحمي الأقصى، ويحمي أهل الذمة والمسلمين.

الغلام: فليرحمك الله يا أمير المؤمنين، هكذا أنت دائما تنشد العدل المطلق.

عمر: بل أنشد رفع كلمة لا إله إلا الله يا بني، وأنشد الخلاص يوم أقف بين يدي ربي ليسألني عما فعلت بالأمانة التي أحملها.

(يبكي عمر).

الغلام: هون عليك يا أمير المؤمنين، فما أنت إلا العدل يمشي على الأرض. **(ينتحب عمر).**

عمر: ويح عمر، ليت أمي لم تلدني!. حملي ثقيل.. ثقيل.. اللهم أعني وأمدني بمدد من عندك يا أرحم الراحمين.

(ينهض عمر والغلام ليستكملا الرحلة، ويركب الغلام الدابة بينما يسير عمر).

المشهد الرابع:

«في المشهد تبدو أبواب مدينة القدس وقد وقف بطريق بيت المقدس في إحدى الشرفات يرقب أبواب المدينة، يدخل عليه راهب».

الراهب: طاب يومك أيها الأب الطيب.

البطريق: طاب يومك يا بني. ماذا وراءك؟

الراهب: جئتك ببعض الزيت والخل والخبز لتتناول طعامك.

البطريق: أشكرك يا بني لا حاجة لي بالطعام الآن.

الراهب: أنت لم تتناول شيئا منذ دخولك خلوتك.

البطريق: دع الطعام جانبا فأنا مشغول الآن.

الراهب: فيم انشغالك أيها الأب الطيب؟ منذ الأمس وأنت ترقب الطريق. لم يا سيدي؟

البطريق: أرقب الآتي لتسلم مفاتيح بيت المقدس.

الراهب: ألا تستريح أنت؟ ونكفيك نحن مؤنة هذا ونخبرك عندما يأتي.

البطريق: لا، يا بني، لا بد أن أفعل هذا بنفسي لأتأكد.

الراهب: (مندهشا) تتأكد من ماذا ياسيدي؟

البطريق: نبوءة قديمة.

الراهب: **(متعجبا)** نبوءة! أية نبوءة؟!

البطريق: جاءنا في بعض كتبنا القديمة أن مدينة الزيتون تسقط في يد شرذمة باغية تملأ الأرض جورا وظلما، وأنه لا يحرر مدينة الزيتون من أيديهم إلا رجال يأتون من قلب الصحراء يتبعون النبي الأمي.

الراهب: وماذا في ذلك يا أبي، كلنا يعرف أن الجيش العربي الذي حرر مدينة الزيتون من أيدي الروم هم أتباع النبي الأمي الذي جاء من ولد إسماعيل.

البطريق: ليس هذا ما قصدت، إنما ما جاء في النبوة بعد ذلك، تحكي النبوءة أن كبيرهم يأتي لتسلم مفاتيح بيت المقدس وهو عظيم مهيب، ومع هذا يدخل المدينة سائرا على قدميه بينما يركب غلامه بين يديه.

الراهب: ماذا ؟ أحق هذا يا سيدي؟ كيف يتأتى لعظيم مثل ذلك الرجل الذي تملأ سيرته الآفاق أن يأتي المدينة ماشيا بينما يركب غلامه بين يديه؟

البطريق: هكذا تقول النبوءة.. والآن دعني أكمل ما أنا فيه.

الراهب: **(تسمع أصوات هتاف وتكبير عند أبواب المدينة)** سيدي ! يبدو أنه قد وصل

البطريق: **(يتطلع بشدة لأبواب مدينة القدس)** انظر هذا الآتي.. **(يشاهد عمر وغلامه يدخلان مدينة القدس)** يا إلهي إنه هو.. تماما كما وصفته النبوءة...

الراهب: أهذا هو يا سيدي السائر على قدميه؟

البطريق: لابد أن يكون هو.. فلا يعقل أن يكون الغلام الراكب هو عمر.

ما أعظمك يا عمر، حقا أنت عظيم، جدير بالاحترام.

البطريق: **(يتأهب للنزول لاستقبال عمر)**، ساعدني يا بني لأسرع لاستقبال هذاالرجل العظيم.

الراهب: هيا يا أبي.

(يخرجان)

المشهد الخامس

«في كنيسة القيامة حيث يجلس عمر مع بطريرك الكنيسة لإعطاء العهد والأمان لأهل الذمة بعد أن صلى على درجة الكنيسة بالخارج».

البطريق: أما كان أيسر لك أن تصلي هنا داخل الكنيسة؟!! فما أعلم أن دينك يأبى هذا أو ينكره.

عمر: صدقت، فما يأبى ديني عليّ هذا، ولكني خشيت إن صليت هنا أن يأتي المسلمون من بعدي لأخذ الكنيسة قائلين: هنا صلى عمر.

البطريق: **(متعجبا ومستحسنا كلام عمر)** لله درك، لقد سمعت كثيرا عن عدلك وورعك وحرصك على إقامة الحق ولكني ما حسبت أن يكون إلى هذا الحد، تخشى الصلاة هنا حفاظا على كنيستنا آجلا!

عمر: بل إني أكتب كتابا أوصي فيه المسلمين ألا يصلوا على الدرجة التي صليت عليها.

البطريق: ما أنفذ بصيرتك!! وما أشد ورعك!!

عمر: **(لغلامه)** اكتب أيها الغلام ما سأملي عليك من الأمان.

الغلام: **(يعد أوراقه وريشته)** أمرك يا أمير المؤمنين.

عمر: هذا ما عاهد عليه عبدالله عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أهل بيت المقدس من النصارى من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم.

البطريق: **(مخاطبا نفسه)** صدق من سماك عادلا. بل أنت العدل تجسد في بشر.

عمر: إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يمنعون من الخروج بصلبانهم يوم عيدهم.

البطريق: **(مخاطبا نفسه)** وحق الرب هذا هو التسامح وتلك هي الحرية.

عمر: ولهم علينا أن نمنعهم ونحميهم ما داموا على عهدهم معنا وعلى ما اتفقنا عليه.

الغلام: هل تكتب شيئا آخر يا أمير المؤمنين؟

عمر: نعم، اكتب ما أملي عليك للمسلمين هنا

الغلام: **(يمسك الريشة والورق)**

عمر: هذا ما أوصى به عبدالله عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين ولاته وألزم به عامة المسلمين ألا يصلي أحد على الدرجة التي صلى عليها عمر إلا واحدا منفردا لضرورة، وألا يصلي عليها مسلمون مجتمعون، وألا يؤذن عليها بأذان، وألا يقام عليها للصلاة.

(ثم يمهر عمر العهد والوصية بتوقيعه)

الغلام» أتريد شيئا آخر يا أمير المؤمنين؟

عمر: لا يا بني، أشكرك.

(يعطي صك الأمان للبطريق)

عمر: ألك مطلب آخر؟

البطريق: لا، ولكني أود أن أعترف لك أنك قد أعطيتنا عهدا لم يمنحه فاتح من قبل، ولن يمنح مثله بعدك إلى أن يأتي ملكوت الله مع القيامة.

عمر: وأنا أضمن لك بقاء هذا العهد والأمان لكم ما دامت القدس في أيدي المسلمين.

البطريق: **(كمن تذكرشيئا)** فإن ضاعت منهم؟!

عمر: أسأل الله ألا تسقط القدس في أيد نجسة لا تعرف معنى قدسية العبادات ولا ترعى الحرمات وحرية الأديان.

البطريق: وأنا أضرع للرب أن تظل القدس العربية في أيدي العرب يحكمها المسلمون ويقيمون هذا العهد وهذا الأمان لأبد الآبدين.

(يهم عمر بالانصراف)

عمر: أستودعكم الله

البطريق: ألا تبقى معنا بعض الوقت؟

عمر: أشكرك.. أود أن أتأهب للإياب إلى مدينة الرسول ﷺ.

البطريق: في رعاية الله

(يتصافحان) ، **(ينصرف عمر وغلامه)**.

الراهب: أنا لا أكاد أصدق ما أرى لولا أن صك الأمان في أيدينا.

البطريق: بل صدق يا بني.. إن مدينة الزيتون ستظل الحمائم ترفرف عليها، وستورق أشجار الزيتون ما دامت في أيدي هؤلاء القوم.

(يشرد بفكره بعيدا)

الراهب: فيم تفكر يا أبت؟ إلى أين يشرد بك الفكر؟

البطريق: إلى آخر الزمان، عندما يدخل أبناء الأفاعي هذه الأرض مرة أخرى **(بسخرية)** أرض الميعاد.. ساعتها لن يتركوا أخضر ولا يابساً ولن يحترموا مسجدا ولا كنيسة.

الراهب: أبت! دعنا نسعد باللحظة، وننعم بالأمان، واترك ما سيجري آخر الزمان لرب آخر الزمان.

(ينزل الستار مع صوت الأذان) ■